



**الصفات الصوتية
في كتاب الأصول في النحو
دراسة وصفية نقدية**

د/إيمان عبد الجابر علام
أستاذ مساعد علم اللغة
بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم
بوادي الدواسر جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز
المملكة العربية السعودية

الصفات الصوتية في كتاب الأصول في النحو دراسة وصفية نقدية

إيمان عبد الجابر علام

قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم بوادي الدواسر جامعة
الأمير سلطان بن عبد العزيز- المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: Dr.emanallam87@yahoo.com

ملخص البحث

يتعلق موضوع (الصفات الصوتية في كتاب الأصول في النحو دراسة
وصفية نقدية) بمدى الاتفاق، والاختلاف في (صفات الأصوات) من خلال
كتاب الأصول في النحو لابن السراج (ت ٣١٦ هـ)، مع ما جاء في الدرس
الصوتي الحديث، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يناقش محورين أساسيين،
وهما: صفات الأصوات المتضادة، وصفات الأصوات غير المتضادة، معتمدة
في ذلك على المنهج الوصفي النقدي، وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك أوجه
اتفاق واختلاف بين ما جاء في مصطلحات الصفات الصوتية في كتاب
الأصول في النحو والدرس الصوتي الحديث.

الكلمات المفتاحية:

(المصطلح، صفات الأصوات، الأصول في النحو)

Terminology of phonemic qualities in the book of assets in grammar, descriptive critical study

Eiman Abdelgaber Abdelsamie Allam

Assistant Professor Of Linguistics Of Arabic Language

Faculty of Arts and Sciences in Wadi Al-Dawasir, Sattam

Bin Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia

Email: Dr.emanallam87@yahoo.com

Abstract:

The topic (Terminology of phonemic qualities in the book of assets in grammar, descriptive critical study) relates to the extent of agreement or difference in (the attributes of phoneme) through the Book of Usul in Grammar, with what was mentioned in the modern phonological lesson, and the nature of the research required that it discuss two basic axes, namely The attributes of opposing sounds and the characteristics of non-contradictory sounds are based on the descriptive critical approach, and the study concluded that what was mentioned in the terms of phonological qualities in the book of assets in grammar is consistent with what was mentioned in the modern phonological lesson in some points, and differs in others .

Key words:

(Terminology, phoneme qualities, origins in grammar)

مقدمة

لا أحد ينكر أهمية الدراسات الصوتية في الدرس اللغوي على اختلاف مستوياته، والتي تتجلى في أهمية الصوت الذي يعد حجر الأساس في اللغة. ولقد عني النحاة ومن بينهم ابن السراج (ت ٣١٦هـ) بالدراسات الصوتية؛ وذلك بوصفها مدخلا لدراسة ظاهرة الإدغام، وقد وجد في كتابه الأصول في النحو مادة صوتية لا تقل عن المادة الصوتية في الكتاب لسيبويه أو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، فكان الموضوع بعنوان (مصطلحات الصفات الصوتية في كتاب الأصول في النحو دراسة وصفية نقدية)، فهذه دراسة للصفات الصوتية المذكورة في كتاب الأصول في النحو لابن السراج، وموقف الدرس الصوتي الحديث منها.

وقد حاولت من خلال هذا البحث معالجة جملة من التساؤلات أبرزها:
ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين ما ذكره ابن السراج وسابقه كسيبويه باعتباره مؤسس للدرس الصوتي؟

ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين الصفات الصوتية عند ابن السراج والدرس الصوتي الحديث؟

وقد اخترت هذا الكتاب أو هذا المؤلف لكونه لم يتناوله أحد بالدراسة من قبل، ولكونه به مادة صوتية لا تقل عما ذكر في الكتاب لسيبويه، والمقتضب للميرد، وغيرها من كتب علماء العرب التي تناولت الدراسات الصوتية .

كما يهدف هذا البحث إلى التعرف على الصفات الصوتية عند ابن السراج، وموقف الدرس الصوتي الحديث منها.

وقد وُجدَ بعض الدراسات السابقة لهذا الموضوع وهي:

١- المصطلح الصوتي عند ابن سينا في ضوء الصوتيات الحديثة رسالة أسباب حدوث الحرف نموذجاً، رسالة ماجستير، لنسيمة قسايمي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة البليدة، الجزائر، ٢٠١٢.

٢- المصطلح الصوتي في معجم الصحاح، مذكرة لنيل درجة الماجستير ، إعداد الطالبين إبراهيم شارف، و عبد القادر سنوس، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر ، ٢٠١٤- ٢٠١٥ .

٣- المصطلح الصوتي عند ابن جني من خلال كتابه سر صناعة الإعراب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إعداد الطالبتين :أميرة سعود ، و سراح بو شارب ، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب ، الجزائر ، ٢٠١٧-٢٠١٨، وكل هذه الدراسات لم تتناول ابن السراج بالدراسة ، ولا بالنظر في المادة الصوتية الضخمة المقدمة في كتابه.

أما عن هيكل البحث ، فيمكننا القول بأنه اقتضت طبيعة الموضوع أن نعرضه في مقدمة ومبحثين وخاتمة ، أما المقدمة فقد أوضحت فيها عنوان الموضوع ، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف الموضوع ، والدراسات السابقة ، وهيكل البحث، ومنهج البحث ، وأهم النتائج، وأما المبحث الأول فقد انقسم إلى قسمين: أ- التعريف بابن السراج، وتعريف المصطلح لغة واصطلاحاً، ب- الصفات المتضادة للأصوات، وقد أفردت المبحث الثاني لدراسة الصفات غير المتضادة للأصوات ، وذيلناه بخاتمة اشتملت على أهم نتائج البحث.

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي النقدي، حيث عرض البحث لآراء ابن السراج في الصفات الصوتية من خلال كتابه الأصول في النحو، ثم ذكر موقف الدرس الصوتي الحديث من ذلك، ولقد اعتمد البحث على جملة من المراجع من أهمها الأصول في النحو لابن السراج، والكتاب لسيبويه، وكتب الدرس الصوتي الحديث.

وواجهت الباحثة بعض الصعوبات، ومنها الانتقاء بين أمهات الكتب، لعدم الاختلاف بين معظم الكتب في الدراسات الصوتية عند علماء العرب؛ حيث إنهم جميعاً كرّروا ما جاء في كتاب سيبويه.

وتوصل البحث إلى بعض النتائج من أهمها: أن ابن السراج أتى مقلداً لما قاله سيبويه في صفات الأصوات، عدم معرفة ابن السراج كسابقه ضابط الجهر

والهمس وهو اهتزاز أو عدم اهتزاز الأوتار الصوتية ؛ وذلك لغياب الجانب التشرحي عندهم، تغيير مصطلح الشدة والرخاوة الذي ذكره ابن السراج إلى الانفجارية والاحتكاكية.

المبحث الأول- الصفات المتضادة للأصوات.

قبل البدء في الحديث عن الصفات المتضادة للأصوات لابد أن نعرف بصاحب كتاب الأصول في النحو؛ ابن السراج : هو أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي، نشأ في بغداد وأخذ النحو عن أستاذه أبي العباس المبرد، ومن تلاميذه : أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ت ٣٣٧هـ، أبو سعيد السيرافي النحوي ت ٣٦٨هـ، أبو علي الفارسي ت ٣٧٧هـ، وقد ترك ابن السراج خمسة عشر كتاباً من بينها كتاب الأصول في النحو الذي هو محل الدراسة. توفي ٣١٦ هـ ببغداد ١
أما عن تعريف الصفة لغة واصطلاحاً:

فالصفة: لغة "الحالة التي يكون عليها الشيء ويتميز بها"٢، واصطلاحاً، قيل إنها : "كيفيات مصاحبة لتكون الصوت في المخرج"٣؛ أي أنّها مجموعة ما يميز صوتاً، في عملية إنتاجه والنطق به، وهذه القسامات الفاصلة بين صوت وآخر، لولاها لما استطعنا التمييز في السمع بين هذه الأصوات .
ويمكننا تقسيم الصفات التي ذكرها إلى صفات متضادة، وصفات غير متضادة.

أولاً- الصفات المتضادة: الصفات التي لها ضد، وعددها أربع صفات، وهي: (الجهر والهمس)، (الشدة والرخاوة)، (الإطباق والانفتاح) ، (الاستعلاء والاستفال)، إلا أن ابن السراج أهمل صفتي الاستعلاء والاستفال.

١- (الجهر والهمس)، صفتان يمكننا إدراجهما تحت دائرة (صفات ناتجة عن وضع الوترين الصوتيين)؛ لأن الوترين الصوتيان هما حجر الأساس في

١- ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسن الفلبي، مؤسسة الرسالة (د ت)، مقد المحقق ص ٩-٢٠.

٢- مجمع اللغة العربية (القاهرة)، الوجيز، ط ١٩٨٩، ص ٦٧١.

٣-غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة الخلود بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٦، ص١٢٥.

التمييز بين هذه الأصوات؛ حيث إنّه يمكننا التفريق بين الصوت المجهور والمهموس بوضع اليد على تقاحة آدم فنجد أن ثمة ذبذبة تحدث في نطق بعض الأصوات، ولا تحدث مع أصوات أخرى فالأصوات التي تحدث فيها الذبذبة تسمى مجهورة أمّا الأصوات التي لا يحدث معها ذبذبة تسمى مهموسة، وقد تحدث ابن السراج عن هاتين الصفتين فذكر أولاً الجهر، وعرفه بأنه "كل حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، يجري الصوت" ١، وثنى بالهمس فقال: "تردد الحرف مع جري النفس" ٢

من خلال عرضنا لمصطلحي الجهر والهمس عند ابن السراج، نلاحظ أنّه قد نقل ما جاء عند سيبويه في كتابه (الكتاب ٣)، و قد ظل علماء العربية يرددون تعريف سيبويه نفسه إلى أن جاء المبرد (ت ٢٨٦ هـ)، حيث عرف الأصوات المجهورة بأنها "حروف إذا رددتها ارتدع الصوت فيها" ٤، والارتداع هو: الامتناع أي امتناع جريان الصوت، وبالتالي فتعريف المبرد لا يختلف في معناه عن تعريف سيبويه.

وهذه التعريفات المذكورة لمصطلحي (الجهر والهمس) سواء عند ابن السراج، أو سيبويه المؤصل لتعريف المصطلح، أو تعريف المبرد، قد وصفها بعض المحدثين من علماء الأصوات بالغموض، والتداخل مع تعريف مصطلح الشدة عندهم الذي سنذكره لاحقاً، وقد اختلفت هذه التعاريف مع ما جاء في الدرس الصوتي الحديث، حيث جاء تعريفهم للجهر والهمس لا يقوم على أساس

١- ابن السراج، الأصول في النحو ص ٤٠١

٢- نفسه ص ٤٠٢

٣- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت، ط ١٩٨٣، ٤/٤٣٤.

٤- المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (مطابع الأهرام التجارية) القاهرة، ط ١٩٩٤، ١/١٩٤.

اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها، فالجهر في الدرس الصوتي الحديث هو تذبذب ١، أو اهتزاز ٢، أو ارتعاش ٣ الوتران الصوتيان، والمعنى واحد، وعدم معرفتهم لدور الوترين الصوتيين ناتج عن غياب الجانب التشريحي لديهم.

ثم تحدث ابن السراج بعد ذلك عن عدد الأصوات المجهورة والمهموسة، فذكر أن المجهورات تسعة عشر صوتا، وهي: "الهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والحيم، والياء، والضاد، واللام، والزاي، والراء، والطاء، والذال، والنون، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو"٤، والتي يمكننا تجميعها في: (طلق ويربض إذ غزا جند طمع)، ثم ذكر أن باقي الأصوات تعد مهموسة، وهي عشرة أحرف: "الهاء والحاء والحاء والكاف والسين والشين والتاء والصاد والثاء والفاء"٥، مجمعة في (حثه شخص فسكت)، وهذا الذي جاء به يتفق مع سيبويه٦، ويختلف مع الدرس الصوتي الحديث في ثلاثة أصوات فقط، وهي (الهمزة و الطاء والقاف).

أولا - صوت (الهمزة) فهو في الدرس الصوتي الحديث صوت "لا بالمجهور ولا بالمهموس"٧؛ وذلك لأنه عند نطقنا لهذا الصوت نجد إغلاقا تاما في أقصى الحلق مما يتسبب في انقطاع النفس، والصوت؛ فلا نسمع لذلك صوت

- ١- عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، مطبعة دار التأليف، طبعة (١٩٦٣ م)، ص ١٢٢
- ٢- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، الطبعة الثانية، مصر، نهضة مصر الفجالة. (١٩٥٠م)، ص ٢٣
- ٣- محي الدين رمضان، في صوتيات العربية، مكتبة الرسالة الجديدة عمان، ص ٦٥
- ٤- ابن السراج، الأصول في النحو ص ٤٠١
- ٥- نفسه ص ٤٠٢
- ٦- سيبويه الكتاب ٤/٤٣٤
- ٧- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، مصر، عالم الكتب، طبعة (١٩٩١م)، ص ٣٤٥

ذبذبة حتى نحكم بأنه صوت مجهور، "ولا يمر الهواء إلى الحلق إلا حين تتفرج فتحة المزمار، وذلك الانفراج الفجائي هو الذي ينتج عنه الهمزة"١، وقد افترض غانم قدوري الحمد احتمالين لوصفه الهمزة بالجهر وهي "١- احتمال بالخطأ في وصف الصوت، ٢- أنها كانت مجهورة ثم تغيرت حتى صارت مهموسة"٢، والذي أرجحه عن سبب وصفهم للهمزة بالجهر؛ لما هو معهود عندهم في تعريف الجهر، حيث إن الجهر عندهم إشباع الاعتماد في موضع الحرف، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، يجري الصوت، وهذا ما يحدث بالفعل في نطق صوت الهمزة.

ثانياً- صوت (الطاء) الذي كان عنده مجهوراً، وهو الآن صوت مهموس، فهو "النظير المطبق لحرف التاء"٣، وقد قدم المحدثون بعض التفسيرات لوصف القدماء لهذا الصوت بالجهر، فمن هذه التفسيرات "عدم معرفته السبب الأساس في حدوث الجهر والهمس"٤، وهو اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها، ومنها أن التطور ربما قد حدث لهذا الصوت فلعلهم كانوا "ينطقون في القديم بما يشبه نطق الضاد الحالية والضاد الحالية صوت مجهور"٥، وأرى أن السبب الحقيقي في وضعهم للطاء ضمن المجهورات أيضاً تعريفهم المعتمد للجهر كما ذكرت آنفاً في صوت الهمزة، من منع النفس وإشباع الاعتماد في موضع الحرف"٦.

١- ينظر: كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات)، دار المعارف، طبعة (١٩٨٠م)، ص

٢- ينظر: غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٢٤٠ - ٢٤١

٣- ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ١٥٥

٤- كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٠٣

٥- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٥٨

٦- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٥٨

ثالثاً- صوت (القاف) وقد كان مجهوراً عند ابن السراج أيضاً، بينما هو الآن صوت "مهموس" ١، وقد أيد

حسام النعيمي وصف القدماء له بالجهر؛ وذلك طبقاً لضابط الجهر الذي وضعه القدماء" ٢، وهو عدم جريان النفس وشدة الاعتماد في الموضع، كما وجدنا بعض التفسيرات من قِبَل المحدثين لوصف سيويوه له بالجهر، منها أن هذا الصوت كان يشبه صوت الغين ثم تطور على مر الزمن حتى صار ما نسمعه الآن ٣، أو أن هذا الصوت كان يشبه الجيم القاهرية ولكنها أعمق منها في أقصى الفم ٤.

من خلال ما سبق يمكننا القول بأن الأصوات المهموسة في الدرس الصوتي الحديث اثنا عشر صوتاً هي العشرة أصوات المذكورة عند القدماء (حثه شخص فسكت) بالإضافة إلى صوتي (القاف والطاء)، كما يمكن القول باختلاف ضابط الجهر والهمس بين القديم والحديث، فهو عند القدماء (شدة الاعتماد في موضع الصوت ومنع النفس)، أما في العصر الحديث فقد أصبح اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها؛ ولعل السبب في هذا الاختلاف عدم معرفة القدماء للأوتار الصوتية؛ وذلك لغياب الجانب التشريحي عندهم، لذلك خلط القدماء بين تعريف الجهر والشدة.

٢- الشدة والرخاوة، صفاتان ناتجتان عن شكل مخرج الصوت، حيث إن المتحكم في هذين الصفتين اعتراض الهواء الخارج من الرئتين فالغلق التام لمجرى الهواء يولد صوتاً شديداً، والعكس (الغلق غير التام) يولد صوتاً رخواً، وقد تحدث ابن السراج عن الشدة معرفاً لها، فقال: "الشديد: هو الذي يمنع

١- رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص ٧٨

٢- حسام سعيد النعيمي، أصوات اللغة بين التحول والثبات ص ٢٩

٣- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي ص ٣٤٣

٤- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٧٨

الصوت أن يجري فيه"١، وهذا التعريف الذي ذكره ابن السراج يعد نقلاً لتعريف سيبويه٢، وقد غير المبرد مصطلح الصوت إلى النفس فقال: "ومنها حروف تمنع النفس، وهي التي تسمى الشديدة"٣، وهذا الذي ذكره المبرد يجعلنا نقول بعدم معرفة القدماء التمييز بين الصوت والنفس، فالنفس هو الهواء الخارج من الرئتين بلا أي اعتراض، فعندما يعترضه انسداد أو تضيق عند نقطة معينة أو أحد المخارج يكون الناتج صوتاً، فالنفس أساسي لوجود صوت، وليس العكس، أما التغيير الوارد في العبارة بين ابن السراج، وقبله سيبويه مع المبرد؛ فهو صحيح؛ لأن منع النفس الذي ذكره المبرد يؤدي إلى منع الصوت.

أما عن هاتين الصفتين في الدرس الصوتي الحديث، فيمكننا القول بتغيير مسمى هاتين الصفتين في الدرس الصوتي الحديث، فتغيير مصطلح الشدة إلى "الانفجارية"٤، والرخاوة إلى "الاحتكاكية"٥، ورغم عدم توحيد المصطلحات بين القدماء والمحدثين، إلا أن مفهوم المصطلح لم يتغير حيث إن الشدة في الدرس الصوتي الحديث تعني: "حبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضع، ثم يُطلق سراحه فجأة"٦، لم يختلف ابن السراج في تعريفه للشدة عن تعريف المحدثين للانفجار، حيث إن حبس الهواء، هو نفسه ما قاله المبرد حبس النفس، الذي يفترض بطبيعته عدم خروج الصوت. ثم حدد ابن السراج بعد ذلك الأصوات التي تتدرج تحت كل صفة، فذكر أن الشديدة ثمانية أصوات هي "الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء،

١- ابن السراج، الأصول في النحو ص ٤٠٢

٢- سيبويه، الكتاب ٤ / ٤٣٤

٣- المبرد، المقتضب ١ / ١٩٤

٤- محمد التنوخي، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) ١ / ٦٦

٥- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٢٧

٦- إميل يعقوب ويسام بركة ومي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ص ٥٩

والدال، والباء"١، وهي تجمع في (أجدت طبقك)، والرخوة ثلاثة عشر صوتا وهي: "الهاء، والحاء، والغين، والحاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء"٢، أما العين عند ابن السراج فهي بين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء"٣، وهناك بعض الأصوات لم يصنفها ابن السراج ضمن الأصوات الشديدة أو الرخوة، وهي (اللام والميم والياء والراء والواو والنون والألف)، وهو ما يجعلنا ندرجها ضمن الأصوات المزدوجة ونضمها إلى صوت العين لتكوّن من الأصوات التي تجمع بين الشدة والرخاوة؛ لأنّه لم يصنفها شديدة أو رخوة .

من خلال ما سبق يمكن القول بتحديد القدماء لمصطلحي الشدة والرخاوة تحديدا دقيقا، اللذان بدورهما يتفقان مع تعريف مصطلحي (الانفجارية، والاحتكاكية) عند المحدثين، ولا يوجد اختلاف بين الدرس الصوتي الحديث و ابن السراج إلا في ثلاثة أصوات ألا وهي: الجيم، والضاد، والعين.

أولا - صوت (الجيم) ، وصفه ابن السراج بالشدة، وهذا الوصف يخالف وصفنا له الآن، فالصوت عندنا صوت يجمع بين الشدة والرخاوة، أي أنه صوت مزدوج٤، وقيل أيضا "قليل الشدة"٥؛ وذلك لأن هذا الصوت صوتا مركبا من صوتين (د + ج) فهو يجمع بين شدة الدال ورخاوة الجيم ؛ ولذلك وصفناه بالازدواجية.

وقال الدكتور رمضان عبد التواب أن: "هذا الصوت المركب يتكون من عنصرين الأول هو الدال كما ينطق بها أهالي صعيد مصر، والعنصر الثاني

١- ابن السراج، الأصول في النحو ص ٤٠٢

٢- نفسه ص ٤٠٢

٣- ينظر: السابق ص ٤٠٢

٤- رمضان عبد التواب، الأصوات ص ٦٨

٥- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي ص ٣٣٥

هو الشين المجهورة أو الجيم الشامية "١"، وقد وضع المحدثون احتمالين لوصف سيبويه لهذا الصوت بالشدة، أولهما: قد يكون ذلك راجعاً إلى تأثره بالجزء الأول من نطق الصوت وهو (شدة الدال)، وهو الذي يتمثل في انحباس الهواء عند بداية النطق به وهو في ذلك يتفق مع الأصوات الانفجارية، وثانيهما: أنه ربما كانت الجيم تنطق في القديم بما يشبه الجيم القاهرية [g] في اللغة العامية، وهذه الجيم شديدة (انفجارية) ٢.

ثانياً - صوت (الضاد) فنجد اعتراضاً من المحدثين على جعله من الأصوات الرخوة كما ذكره ابن السراج وسابقه؛ وذلك لأن هذا الصوت الآن هو "النظير المطبق للدال أو المجهور للطاء" ٣، وقد فسّر بعض المحدثين وصف القدماء له بالرخاوة بعدة تفسيرات، وهي: قد يكون هناك خطأ في وصفهم لهذا الصوت ٤، أو أنهم "كانوا يتكلمون عن ضاد غير تلك التي نعرفها ونمارسها نطقاً اليوم" ٥، أو أنه قد وصفوا "الضاد المولدة لا الضاد العربية الأصلية" ٦، كما تخيل البعض أن الضاد عند سيبويه "كانت تشبه اللام" ٧، أو كانت "مرحلة وسطى فيما بين شدة الضاد الحديثة ورخاوة الطاء" ٨، و بالتالي فصوت الضاد كما نطقه الآن صوت شديد؛ وذلك لأنه عند النطق به ينحبس الهواء نتيجة لالتصاق التام لرأس اللسان أو طرفه للحم اللثة من الداخل ثم يحدث انفجار لنسمع الصوت؛ ولذلك فهو صوت شديد (انفجاري).

١- ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهر وعلله وقوانينه ص ٢٥ - ٢٦

٢- ينظر: نفسه ص ٢٥ - ٢٦

٣- ينظر : بتربيل مالبرج، علم الأصوات ص ١١٦

٤- كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٠٥

٥- نفسه ص ١٠٥

٦- ينظر : كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٠٨

٧- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية ص ١٩

٨- ينظر: هنري فليش، العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي ص ٥١

ثالثاً- صوت (العين)، رفض الدرس الصوتي الحديث وضعه ضمن الأصوات المتوسطة أي التي تجمع بين الشدة والرخاوة؛ وذلك لأنه صوت رخو، وقد علل المحدثون سبب رفضهم لوضع هذا الصوت ضمن الأصوات المتوسطة؛ بأن الأصوات المتوسطة تشترك في خصائص لا توجد في صوت العين وهي: "حرية جريان الهواء في المجرى الأنفي أو الفموي، دون سد طريقه أو إعاقة سيره بالتضييق عند نقطة ما"١، بينما أثبتت معامل الأصوات أنه عند نطق صوت العين يحدث تضيق في الحلق؛ ولذلك تم وضعه ضمن الأصوات الرخوة٢، وقد علل الدكتور إبراهيم أنيس سبب وصف القدماء لهذا الصوت بالتوسط هو "ضعف ما يسمع لها من حفيف إذا ما قورنت بالعين (الأصوات الرخوة)، وضعف حفيفها يقربها من الميم والنون واللام ويجعلها ضمن الأصوات التي هي أقرب إلى طبيعة أصوات اللين"٣.

٣- المطبقة والمنفتحة: هي صفات ناتجة عن وضع مؤخر اللسان مع الطبق، والطبق هو الغار أو وسط الحنك الصلب، وقد عرف ابن السراج أهمية التفريق بين الصفتين الإطباق والانفتاح، فعرف (الإطباق) بأنه: "إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك في مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف"٤، من خلال هذا التعريف يمكننا القول بأن الجزء الأول من التعريف (انطباق اللسان على الحنك الأعلى)، أنه ليس صحيحاً، حيث إننا عند نطقنا لأحد الأصوات المطبقة كالصااد أو الضااد أو الطاء أو الظاء، نجد انطباقاً لطرف اللسان وأقصاه وتقعر وسطه، فهو ليس انطباقاً تاماً كما ذكر، ثم عرف

١- ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ص ١٠٢

٢- ينظر: كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٣٢

٣- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٨١

٤- ابن السراج، الأصول في النحو ص ٤٠٤

الانفتاح أيضا، فقال: " لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى" ١، ثم عدد الأصوات المطبقة، فقال هي أربعة: " الصاد، الضاد، الطاء، الظاء" ٢، ثم أكمل وقال " لولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها وغيرها" ٣، وذكر أن باقي الأصوات منفتحة ٤، ويمكننا تجميع الأصوات المنفتحة في: (من أخذ وجد سعة فزكا حق له شرب غيث)، وأما عن موقف الدرس الصوتي الحديث فيما جاء عن القدماء في هذه الصفة، فيمكن القول بعدم وجود اختلاف بين ابن السراج، والدرس الصوتي الحديث في تعريف الإطباق، وكذلك في عدد الأصوات المطبقة ٥، وزاد المحدثون بتوضيح شكل اللسان أثناء نطق هذه الأصوات المطبقة وهو أن "يكون اللسان مقعراً، أي يرتفع أقصاه وطرفه ويتعقر وسطه" ٦، وأما قول ابن السراج لولا الإطباق لصارت الطاء دالا، فهو صحيح حيث إن الصوتين (الطاء والدال) يخرجان من نفس المخرج ويتفقان في بعض الصفات كالشدة، ويختلفان في الإطباق والانفتاح والتخيم والترقيق، حيث إن الطاء صوت مفخم، مطبق بعكس صوت الدال، وكذلك الحال في الصاد والسين فهما يخرجان من المخرج ذاته، كما يتفقان في معظم الصفات كالهمس، والرخاوة الصغير، ولا يختلفان إلا في التخيم والترقيق والإطباق والانفتاح أيضا، وكذلك الحال الظاء والذال.

١- نفسه ص ٤٠٣

٢- السابق ص ٤٠٤

٣- السابق ص ٤٠٤

٤- السابق ص ٤٠٤

٥- ينظر: محمد التنوخي، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) ١ / ٧٢

٦- كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٠٢

المبحث الثاني- الصفات غير المتضادة للأصوات، وهذه الصفات ليس لها ضد وتنقسم إلى نوعين، وهما (أ- صفات تخص صوتاً واحداً، و ب- صفات تخص مجموعة من الأصوات).

أ - صفات تخص صوتاً واحداً: وقد ذكر منها: المنحرف، والتكرار، والهواء.

١- **الانحراف**: تحدث ابن السراج عن هذه الصفة وخصها لصوت واحد وهو (اللام)، فقال: " ومنها المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام، وإن شئت مددت فيه الصوت، وليس كالرخوة، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك"١، وما قاله ابن السراج في تعريف صفة الانحراف، لا يختلف عما قاله سيبويه في شيء فهي ذات عبارة سيبويه٢، ويمكن القول باتفاق القدماء على جعل اللام هي الصوت المنحرف الوحيد، وقد أيدت الدراسات الصوتية الحديثة وصفهم لصوت اللام بهذه الصفة٣، ويستخدم كمال بشر مصطلح الانحراف ب "الجانبى"٤؛ وذلك لأنه أثناء النطق بهذا الصوت يتصل اللسان باللثة وبذلك يحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرب الهواء من جانبي اللسان، وهذا محل اتفاق بين القدماء والمحدثين، وجاء في كتاب النشر لابن الجزري أن صوتا الانحراف " اللام والراء"٥، ولعل سبب ذلك أنه في إنتاج هذين الصوتين يغلق المسرب الأمامي للهواء، ويُفتح جانبي اللسان لتسريب الهواء، إلا أن الصفة الأميز لصوت الراء هي التكرار.

١- ابن السراج، الأصول في النحو ص ٤٠٣

٢- سيبويه، الكتاب ٤/ ٤٣٥

٣- ينظر: محى الدين رمضان، في الصوتيات اللغوية ص ٧٠

٤- كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٢٩

٥- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ص ٢٠٤

٢- التكرار: وقد تحدث ابن السراج عن هذه الصفة وجعلها مخصصة لصوت واحد وهو الراء، فقال: "وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام ... ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء"١، من خلال عرضنا لعبارة ابن السراج في الحديث عن صفة التكرار يمكننا القول بأنها تكرر لما جاء عن سيبويه٢، ولم يختلف المحدثون من علماء الأصوات مع القدماء في وصفهم للراء بالتكرار، وعرف بعضهم التكرار بأنه: "ارتعاد أو ذبذبة أو ترعيد، أو تعثر، يكون في طرف اللسان عند تلفظ حرف الراء"٣، أو "تكرر طرق (ضرب أو تلامس) اللسان للحنك عند النطق بالصوت"٤، حيث إننا عند نطقنا لهذا الصوت نجد اللسان يرتفع ليلامس الحنك ويرتطم به عدة مرات، ومن ثمَّ يمكننا القول بأن المصطلح شاع بين علماء العربية والدرس الصوتي الحديث دون أي إضافة تذكر.

٣- الهواء: هذه الصفة جعلها ابن السراج لصوت الألف، فقال: "ومنها الهاوي: وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف، وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجا الألف ثم

الياء ثم الواو"٥، يعد ما قاله ابن السراج عن هذه الصفة تأييدا لما ذكره سيبويه عنها٦، أما عندما موقف علماء الأصوات المحدثين من هذه الصفة، فقد جعلوها لصوتي الألف والهاء، ودليل ذلك قول كانتينيو: "الحروف التي الانفتاح

١- ابن السراج، الأصول في النحو ص ٤٠٣

٢- سيبويه، الكتاب ٤ / ٤٣٥

٣- ينظر: رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات ص ٧١

٤- حاتم صالح الضامن، فقه اللغة ص ١٧٩

٥- ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو ص ٤٠٤

٦- سيبويه، الكتاب ٤ / ٤٣٥-٤٣٦

فيها أكبر ما يكون أي التي يفتح فيها جهاز التصويت انفتاحاً عادياً فيجرى النفس جرياً ويطلق على هذه الحروف حروفاً هاوية ... نحو الهاء"١، وقال في موضع آخر: "الهاوي أي الذي فيه هواء، وينعت به الألف"٢، وسبب إضافتهم صوت الهاء إلى صوت الألف في هذه الصفة؛ لانتساع مخرجهما؛ حيث لا يوجد أي اعتراض أو تضيق يحدث عند نطق الصوتين، فهي عبارة عن هواء يخرج من الرئتين دون أي سد أو تضيق.

ب- صفات تخص مجموعة من الأصوات: وهي صفات ليس لها ضد، ولكنها تميز أكثر من صوت.

١- الغنة: عرّف ابن السراج الغنة أولاً، وجعلها لصوتي (النون والميم)، فقال: "ومنها حرف شديد يجري معه الصوت؛ لأنّ ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنّك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون وكذلك الميم"٣، يعد ما ذكره عن هذه الصفة لم يختلف عن سابقه٤، وقد أيدّ الدرس الصوتي الحديث ما ذكره ابن السراج عن هذه الصفة من حيث اختصاص الصفة بصوتي النون والميم، وأنّها صوت يخرج من الخياشيم٥، وقد استبدل بعض المحدثين مصطلح الغنة بمصطلح "الأنفيات"٦، حيث يلتقي اللسان باللثة، فيمنع مرور الهواء من الفم تماماً، فيحول مسار تيار الهواء فيتجه إلى الأنف ويخرج منها.

٢- اللين: تحدث ابن السراج عن هذه الصفة وخصها بصوتي (الواو والياء) غير المديتين دون الألف فقال: "الواو والياء؛ لأن مخرجهما يتسع لهواء

١- ينظر: لجان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية ص ٢٤ - ٢٥

٢- المرجع نفسه ص ٣٨

٣- ابن السراج، الأصول في النحو ص ٤٠٣

٤- سيوييه، الكتاب ٤ / ٤٣٥

٥- ينظر: محي الدين رمضان، في الصوتيات العربية ص ٧١

٦- ينظر: كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٣٠

الصوت أشد من اتساع غيرهما"١، وقال سيبويه " ومنها اللينة وهما الواو والياء"٢، وهو في تعريفه لهذه الصفة لا يختلف مع ما جاء في الدرس الصوتي الحديث، حيث عرفوا اللين بأنه: " اندفاع الهواء عند النطق بالصوت من الرئتين مارا بالحنجرة ثم الحلق فالفم، في ممر لا يوجد فيه حوائل تعترضه فتضييق مجراه"٣، ومن ثم فإن الوصف الحالي لا يختلف عما ذكره القدماء لأننا عند نطق الصوتين نجد اتساعا في مجرى الهواء، والاختلاف بين صفتي (اللين والهاوي)، أنه يحدث بعض التضييق عند نطق الأصوات اللينة، بخلاف الهاوي، فلا يوجد أي تضييق عند نطق الصوت.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن ابن السراج صنّف صفات الأصوات كما يلي: ثلاث صفات لها ضد: (الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والإطباق والانفتاح)، وخمس صفات غير متضادة (المكرر، والمنحرف، والغنة، واللينة، والهاوي)، وهذان الجدولان يوضحان ذلك.

أ- صفات الأصوات المتضادة

م	الصفة	ضدها
١	الجهر	الهمس
٢	الشدة = الانفجارية	الرخاوة = الاحتكاكية
٣	الاطباق	الانفتاح

ب- الصفات غير المتضادة للأصوات

م	صفات تخص صوتا واحدا	صفات تخص مجموعة من الأصوات
١	المكرر	الغنة
٢	المنحرف	اللينة
٣	الهاوي	

١- ابن السراج، الأصول في النحو ص ٤٠٣

٢- سيبويه، الكتاب ٤/ ٤٢٥

٣- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٢٦

النتائج

- ١- جاء ابن السراج مقلدا لسابقه في معظم ما ذكره عن الصفات الصوتية.
- ٢- انقسمت الصفات الصوتية في كتاب الأصول في النحو إلى صفات متضادة (كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والاطباق والانفتاح)، وصفات غير متضادة مثل (المكرر، والمنحرف، والهاوي، والغنة، واللين).
- ٣- اختلف ابن السراج في ضابط الجهر والهمس مع الدرس الصوتي الحديث، حيث إن ضابطه عنده شدة الاعتماد في موضع الصوت ومنع النفس، وفي الدرس الصوتي الحديث كان ضابط الجهر والهمس واضحا وهو اهتزاز أو عدم اهتزاز الأوتار الصوتية؛ ولعل السبب في ذلك عدم معرفته بالأوتار الصوتية لغياب الجانب التشريحي لدى القدماء.
- ٤- نظرا لاختلاف ضابط الجهر والهمس بين ابن السراج والمحدثين أدى ذلك إلى اختلافه مع المحدثين في وصفه لثلاثة أصوات بالجهر، وهي: (ق - ط - ع)، والتي هي في الدرس الصوتي الحديث من الأصوات المهموسة.
- ٥- غير المحدثون مصطلحي (الشدة والرخاوة) قديما إلى مصطلحي (الانفجارية والاحتكاكية) حديثا، حيث إن الشدة = الانفجارية، والرخاوة = الاحتكاكية، ولا فرق بينهما.
- ٦- أنكر المحدثون وصف ابن السراج لصوت (الضاد) بالرخاوة، حيث إنه في الاستخدام المعاصر من الأصوات الشديدة أو الانفجارية.
- ٧- صوت (الجيم) الذي وصفه ابن السراج بالشدة، وهذا الوصف يخالف وصف المحدثين، فالصوت عندهم صوت يجمع بين الشدة والرخاوة.
- ٨- صوت (العين) رفض الدرس الصوتي الحديث وضعه ضمن الأصوات المتوسطة أي التي تجمع بين الشدة والرخاوة؛ وذلك لأنه صوت رخو.
- ٩- اتفق الدرس الصوتي الحديث مع ابن السراج فيما قاله عن الإطباق والانفتاح إلا أن المحدثين تنبهوا لتقعر اللسان من منتصفه عند نطق هذه الأصوات.

١٠- لم يختلف الدرس الصوتي الحديث مع ابن السراج وباقي علماء اللغة، فيما جاء في الصفات التي ليس لها ضد، سواء الصفات التي تخص صوتاً بعينه (التكرار والانحراف والهاوي)، أو الصفات التي تخص مجموعة من الأصوات (الغنة واللين).

المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، الطبعة الثانية، مصر، نهضة مصر الفجالة. (١٩٥٠م).
- ٢- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، مصر، عالم الكتب، طبعة (١٩٩١م).
- ٣- إميل يعقوب، ويسام بركة، ومي شيخاني قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، الطبعة الأولى، ببيروت لبنان، دار العلم للملايين، طبعة (١٩٨٧م).
- ٤- بتريل مالبرج، علم الأصوات، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين، مصر، مكتبة الشباب، طبعة (١٩٨٤).
- ٥- أبو بكر محمد بن سهل، (بن السراج)، النحوي البغدادي (ت ٣١٦ هـ)، الأصول في النحو، تحقيق الدكتور عبد الحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة، (د ت).
- ٦- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجة وصححه وعلق عليه: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، طبعة (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م).
- ٧- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه ت ١٨٥ هـ، الكتاب، ط٣، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، عالم الكتب، طبعة (١٩٨٣م).
- ٨- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مصر، مكتبة الأنجلو طبعة (١٩٩٠م).
- ٩- جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة الدكتور صالح القرماضي، تونس، مركز الدراسات والاقتصادية والاجتماعية، طبعة (١٩٦٦م).
- ١٠- حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، الطبعة الأولى، دار الأفاق العربية (٢٠٠٧م).

- ١١- الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير (بابن الجزري، ت ٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى، (د ت).
- ١٢- حسام سعيد النعيمي، أصوات اللغة بين التحول والثبات، (بغداد) وزارة التعليم العالي سلسلة بين الحكمة.
- ١٣- رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات، مطبعة مركز البحوث والدراسات الإسلامية طبعة (٢٠٠٧هـ).
- ١٤- رمضان عبد التواب، الأصوات، مصر، مكتبة كلية الآداب شيبين الكوم، (د ت).
- ١٥- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، الطبعة الثانية، القاهرة، الخانجي، طبعة (١٩٩٠م).
- ١٦- رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الخانجي، طبعة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- ١٧- أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد، ٢١٠-٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (مطابع الأهرام التجارية)، طبعة (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).
- ١٨- عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، مطبعة دار التأليف، طبعة (١٩٦٣م).
- ١٩- غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الطبعة الأولى، بغداد، مطبعة الخلود، طبعة (١٩٨٦م).
- ٢٠- كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات)، دار المعارف، طبعة (١٩٨٠م).
- ٢١- مجمع اللغة العربية، الوجيز، القاهرة، طبعة (١٩٨٩م).

٢٢- محمد التنوخي، وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة الألسنيات، مراجعة إميل يعقوب ، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، طبعة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

٢٣- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار نهضة مصر العربية، غير معلوم سنة الطبع.

٢٤- محي الدين رمضان، في صوتيات العربية، مكتبة الرسالة الجديدة عمان.

٢٥- هنري فليش، العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، ترجمة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الثانية، مكتبة الشباب، طبعة (١٩٩٧ م).